جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الأستاذ : عمر بوصبيع

المادة : تاريخ وحضارة فينيقيا – المحاضرة السابعة-

المستوى: السنة الأولى ماستر

التخصص : تاريخ الحضارات القديمة

السنة الجامعية: 2022/2021

السداسي : الثاني

المظاهر الحضارية في فينيقيا

3- المظهر الاقتصادي في فينيقيا:

أ- الزراعة:

عرف الفينيقيون الزراعة و تربية الحيوان منذ اقدم العصور، ورغم أن السهول الفينيقية كانت تتسم بالضيق، إلا أن السكان عملوا هنالك على زراعة و إنتاج الحبوب في بعض المناطق، و غرسوا الأشجار كالنخيل و العنب و الزيتون. وفي هذا النشاط استعمل الفلاح الفينيقي المحراث العادي الذي كان يجره الحيوان كالثور و الحمار أو حتى الإنسان، أما الدرس فقد كان يتم بطرق بدائية كالهرس بأرجل الحيوانات من ثيران وخيول و بغال . أما طحن القمح فكان يتم بواسطة كتل حجرية صلبة .

وبالنسبة لزراعة الكروم استطاع القرطاجيون استخلاص النبيذ من العنب المنتجة، كما عملوا هم والفينيقيون على استخراج زيت الزيتون من شجرة الزيتون. هذا بالإضافة إلى زراعة شجر الرمان التي ادخلها الفينيقيون إلى شمال إفريقيا . كما عرف الفينيقيون

تربية النحل، و الضأن والاعتماد على قطعان الماشية من ضأن وماعز وأبقار في حياتهم اليومية.

هذا بالإضافة إلى أن غابات لبنان كانت مصدرا غنيا للأخشاب من الأشجار المخروطية مثل الصنوبر والأرز والشربين والسرو والبطم، تلك الأشجار التي كانت تصدر أخشابها من موانئ المدن الفينيقية إلى موانئ مصر وبلاد فارس وبلدان العالم الأخرى. كما كانت شقوق جذوع هذه الأشجار تفرز الصموغ الثمينة والطلاء التي تطلى بها أخشاب المراكب وقطع الأثاث لحفظها من التآكل، كما تستخدم في عمليات التحنيط في مصر القديمة.

ب- **الصناعة** :

انتقل الكنعانيون في البداية من حياة البداوة إلى ممارسة الزراعة بعد استقرارهم بالساحل الفينيقي، ومن خلال هذا الموقع مارس الفينيقيون نشاطات صناعية شجعهم عليها قربهم من البحر والغابات الجبلية، فعملوا على ممارسة صناعة السفن التي ساعدتهم على التجارة البحرية منذ عصور سحيقة، ويشار إلى أن ضيق السهل الساحلي الصالح للزراعة حتم على الفينيقيين تعويض ما ينقصهم من المنتوجات الزراعية عن طريق عمليات الاستيراد في البداية من مصر و بلاد ما بين النهرين، ومع ازدياد و ازدهار نشاطهم التجاري، وجد الفينيقيون انفسهم في حاجة إلى استحداث صناعات محلية تدعم هذه التجارة وتقويها، لذلك ظهرت لديهم صناعات محلية على مستوى المواد الخام المحلية، ليعملوا بعد ذلك على استيراد المواد الخام وتصنيعها محليا ليعاد فيما بعد إعادة بيعها عن طريق تصديرها.

ومن أهم الصناعات الفينيقية نذكر في البداية صناعة السفن التي كانوا يصنعونها من أخشابهم، وكذا صناعة المنسوجات انطلاقا من أصواف الضأن المحلية أو تلك المستوردة من بلاد النهرين، وقد اشتهرت منسوجاتهم بنوع خاص من الصبغة التي كانوا يستخلصونها ، هذا بالإضافة إلى صناعة الكتان المستوردة مواده الخام من مصر.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه المدن الفينيقية القديمة قد اشتهرت إلى جانب هذه الصناعات الكبيرة بصناعات دقيقة مثل تصنيع المعادن، كمعدن البرونز الذي كان يجلب من قبرص، والفضة والذهب اللذين كانوا يحصلون عليهما من أثيوبيا، هذا بالإضافة إلى صناعة العاج والزجاج، أما صناعة الفخار فكانت لها أهمية كبرى بالنسبة للفينيقيين إذ استطاعوا من خلالها تقليل عمليات الاستيراد الخاصة بهذه المادة من مصر، كما استغلوا تلك الأواني الفخارية المصنعة لديهم في إعطاء دفعة لعمليات تصدير بعض المواد المصنعة لديهم مثل الزيوت والخمور وغيرها.

ج- التجارة:

إذا كان سكان المدن السورية الداخلية قد عرفوا منذ أقدم العصور باحتكارهم لطرق النقل البري وتجارة القوافل التي كانت تجلب المنتجات الآسيوية والأفريقية المختلفة إلى البحر المتوسط، فإن الفينيقيين أو سكان المدن الساحلية قد تخصصوا في مجال النقل البحري واتخذوه نشاطهم التجاري الأساسي منذ القدم. واذا كان الفينيقيون عبر تاريخهم لم يتمكنوا من بناء دولة موحدة قوية كما كان الحال بالنسبة للرافديين والمصريين إلا أنهم فرضوا شهرتهم عبر العصور بنشاطهم التجاري وتخصصهم في مجال التجارة الخارجية.

ورغم أن نشاط الفينيقيين ظل محصورا في شرقي البحر المتوسط والبحر الأحمر ولم يتوغلوا غربا في البحر المتوسط، ليصلوا إلى مناطق بعيدة كإسبانيا وشواطئ المحيط الأطلسي، إلا بعد سقوط الحضارة الموكينية في اليونان نتيجة لهجمات الدوريين القادمين من الشمال. واستطاع الفينيقيون بذلك تأسيس محطات تجارية في مناطق قريبة وبعيدة، تلك المحطات التي قال عنها سترابون أنها بلغت حوالي ثلاث مائة 300 محطة في البحر الخارجي.

وعموما فإن الفينيقيين كان لهم دور هام في تنشيط التجارة البحرية العالمية ووصلوا بهذا النشاط إلى إسبانيا وبريطانيا، كما أسسوا مراكز ومدن تجارية كانت أهمها مدينة قرطاجة التي تحولت فيما بعد إلى دولة تفرض سيادتها على جزء كبير في البحر المتوسط.

وقد عملت المدن الفينيقية على تصدير النبيذ وزيت الزيتون والتمر وأجود أنواع الطحين والثمار المجففة مثل التين والخوخ واللوز والورود. هذا بالإضافة إلى تصدير المواد الخام مثل الأخشاب والمعادن والأصباغ الأرجوانية، كما قام الفينيقيون بتصدير نتاج صناعاتهم من منسوجات دقيقة وأواني ومصنوعات معدنية من مواد خام أخرى، هذا إلى جانب نقل المصنوعات والمنتجات المصرية و الإغريقية.

كانت الحركة التجارية البحرية نشطة على مستوى المدن الفينيقية، فكانت السفن تخرج من موانئ صور وصيدا وأرواد وغيرها محملة بالبضائع التي سبق ذكرها وتعود بالسلع المستوردة بحرا مثل السكر والأرز والأحجار الكريمة والفلفل والقرفة من الهند، والبهارات والعقاقير وخشب الصندل واللؤلؤ من جنوب الجزيرة العربية وما حولها، والحرير من الشرق الأقصى (الصين) ومن موانئ أوربا وجنوبها وشمال إفريقيا.

كما كان الفينيقيون يستوردون الفضة والحديد والقصدير والرصاص من إسبانيا والأواني النحاسية من أيونيا، وكانت مراكبهم تنقل الخشب والنحاس لتعود محملة بالذهب من بلاد أوفير التي يرجح أنها تقع في منطقة إفريقية على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر، كما كانوا يستوردون التعاويذ والتماثيل والأختام والخرز والأواني والأسلحة إلى أن برع الصناع الفينيقيون بتقليدها وتقليد أشكالها وبيعها. وقد عملوا كذلك على استيراد الأرجوان من موانئ أسبرطه وقرطاجة وأوتيكا حرصا منهم على الحفاظ على المورد الطبيعي لهذه المادة من النضوب.

وبخصوص البضائع التي كانوا يشترونها من مناطق أخرى لبيعها مرة ثانية فهي الحنطة والزيوت من فلسطين وكانوا يدفعون أثمانها بضائع أخرى من أدوات الزينة، كما كانوا يشترون الزجاج المصنوع من مصر ويتاجرون فيه، كما تدل صناعة العاج الفينيقية على ذوق رفيع ودقة في الصنع.

كما صدر الفينيقيون إلى إقليم أتروريا بإيطاليا منتجات مثل الأواني المعدنية المنقوشة والعاج والحلي ابتداء من القرن السابع ق م. وقد احتكر الفينيقيون بعد المصريين تجارة البردي الذي أصبحت فينيقيا تمون به الأسواق العالمية، وقد أدخله الفينيقيون إلى بلاد

اليونان أين كان استعماله معروفا فيها إلى غاية القرن السادس ق م. كما كانت تجارة الأفاويه (التوابل) والعطور والبخور الهام في الطقوس الدينية القديمة حكرا على الفينيقيين، وكانوا يأتون بها من شواطئ الجزيرة العربية والشاطئ الشرقي لإفريقيا، وقد أحاطوا المسالك البحرية التي كانوا يسلكونها بمراكبهم بسياج من الكتمان وهولوا من المخاطر والمخاوف التي كانوا يلقونها في البلدان التي تنتج تلك السلع.

كما كانت تجارة الرقيق تعبر البحار من الشرق إلى الغرب فتمر بالموانئ الفينيقية ثم إلى أوربا ، تلك التجارة التي راجت سوقها واتسعت بين الدول الهيللينية وبين العالم الخارجي، وفي هذا الصدد يتحدث الشاعر هوميروس في أشعاره عن مدينة صيدا واصفا إياها كإحدى المدن المحتكرة لتجارة الأقمشة والنحاس والرقيق.

أما عن طرق تبادل السلع بين الفينيقيين والشعوب الأخرى فلابد أنها مرت بمراحل كان أولها مقايضة سلعة بسلعة أخرى أو سلعة بمعدن نفيس، وهي الطريقة التي تحدث عنها هيرودوت واصفا الكيفية التي كان الملاحون الفينيقيون يتبادلون من خلالها سلعهم بالذهب مع سكان شواطئ غربي إفريقيا. لكن الملاحظ أن الفينيقيين حين تمرسوا في النشاط التجاري ساعدهم في تحكمهم بهذا النشاط اختراعهم للعملة، لذلك نجد أن أقدم عملة شرقية فينيقية ضربت في صور في منتصف القرن الخامس ق م تقريبا، وتبعتها صيدا وأرواد وبيبلوس في أواخر القرن الخامس ق م وبداية القرن الرابع ق م، أما بقية المدن الأخرى فلم تضرب عملتها إلا في العصر اليوناني.

4- المظهر الديني في فينيقيا:

تأثر الفينيقيون كباقي الشعوب القديمة بديانة من كان حولهم من الشعوب، غير أن الثابت أن معتقدات شعوب آسيا الصغرى كان تأثيرها أسبق بالنسبة لمنطقة الساحل السوري، تليها بعد ذلك المعتقدات السومرية فالسامية، ويمكن القول أن الفينيقيين قد أخذوا عن جميع هذه الديانات التي ألّهت الخصب قبل أن يتأثروا بديانة الإغريق. أما عن آلهة الفينيقيين فهي تسمى عندهم "ألونيم" ومفردها "إيل" أي إله ويسمى أيضا "بَعَاليم" ومفردها

"بعل" وقد يدعى الإله كذلك "مَلْك" مثل ملكار إله صور أو يدعى "أدون" ومعناه السيد ويقابلها عند الإغريق أدونيس.

أما أشهر آلهة الفينيقيين فهي:

1- إيل : هو كبير الآلهة، أو الإله الأب، زوجته أشيرَ.

2- الدَاعُون : هو ابن إيل وهو إله المجاري المائية ويبشر بالمطر.

3- بعل : كان الفينيقيون يعنون بهذا الاسم إله معينا لعله الاله "أدد" السوري، وهو إله الجبال والعواصف والصواعق وكذلك المطر فهو يجمع بذلك بين العواصف المسيئة والمطر النافع. وقد انتشرت عبادة بعل في جميع أنحاء فينيقيا ولذلك يرجح أن عبادته نشأت متأخرة أي بعد اكتمال هرم الآلهة لدى الفينيقيين.

4- علّيان: هو ابن الإله بعل، وقد ورث عن أبيه كل صفاته فاهتم بالينابيع والمطر والغلال وأخيرا بالبحر.

5- عناة : هي شقيقة عليان، محاربة تجمع صفات الإلهة "عشتار" الأشورية" وقد عبدها المصريون باسم "إنتا" .

6- مُوَّتَ : هو الاله المحارب ابن بعل وشقيق عليان وند في آن واحد، به تتمثل شمس الظهيرة المحرقة وإله الجحيم.

7- ملكارت: ومعناها ملك المدينة، فهو إذن صفة حلت محل اسم أطلق على إله صور، تعززت عبادته أيام الملك حيرام الذي بنى له هيكلا فخما.

8- رشف: ومعبده في جبيل، به يتمثل البرق والضوء.

9- أشمون: وهو إله صيدون، إله الصحة، انتقلت عبادته إلى بيروت، وتيمن به ملوك صيدون فتسموا باسمه.

10- أدون أو أدونيس الشاب: عبد في جبيل، به يتمثل الخصب وتجدد الطبيعة.

11- البعلات : عبدت بعض المدن إلاهات، كانت أشير زوجة إيل أولاها، وعبدت بيروت بعلة، لكن عشتروت بعلة جبيل وإلهة الخصب والحب والجمال

تفوقت عليهن جميعا، فأقام لها الفينيقيون في جبيل معبدا وذاع صيتها في كل فينيقيا والمستعمرات، وعبدت في قرطاجة باسم تانيت.

5- المظهر الثقافي والعلمي في فينيقيا:

تجاوز الفينيقيون المرحلة المقطعية التي عرفتها الكتابات المصرية المسمارية، ومروا إلى المرحلة الحرفية التي يعبر فيها الحرف عن أبسط الأصوات، وتوصلوا إلى كل الأصوات في عدد قليل من الأحرف، فاشتملت أبجديتهم على اثنين وعشرين حرفا ساكنا (لا حركة عليه) ولم يعودوا بحاجة إلى صورة، إلا للدلالة على لفظ الحرف، فالثور واسمه ألف بالفينيقية دلت صورته على الحرف ألف، وصورة البيت تدل على الحرف باء، وصورة الجمل "جمال" بالفينيقية تدل على الجيم، وسميت كتابتهم بالأبجدية لأنها تبدأ باللفظ "أبجد"، وبما أنه ليس مفترضا بالجميع أن يتقنوا التصوير من أجل الكتابة، حرفت الرسوم واختصرت فكان شكل الحرف النهائي.

إن اكتشاف الأبجدية فتح أبعاد جديدة وعميقة في دنيا الشرق، فقد بسط المعاملات التجارية، وانتزع من فئة الكتبة ما كان لديها من امتيازات، وحد بذلك الفارق الطبقي في المجتمع. ولما اقتبس العالم عن الفينيقيين أبجديتهم اتسع نطاق التبادل في المعرفة والفكر والثقافة والأديان، وكان بالتالي حافزا لانطلاقة فكرية سريعة برزت مع الحضارة الإغريقية.

1- اللغة الفينيقية:

تعتبر لغة الفينيقيين من اللغات السامية التي تفرعت عن الكنعانية وهي تتشابه مع اللغة العربية المتفرعة بدورها عن الكنعانية، والعارفون باللغة العبرانية يجدون فيها الكثير من الألفاظ الفينيقية، والتوراة بدورها حافلة بالتأثير الفينيقي.

تتميز الفينيقية بحروفها الساكنة كباقي اللغات السامية ولا تعتمد على أحرف العلة إلا في حال التشديد على اللفظ، لذا تتعدد الجوازات في لفظ العبارة الواحدة. أما الأدب الفينيقي

فلم يصلنا منه إلا النزر، اليسير فبعض مقاطع التوراة تشيد بالشعراء الفينيقيين لكن أسماء هؤلاء الشعراء أو شيئا من شعرهم لم يصل إلينا.

2- الفنون والعلوم عند الفينيقيين:

أ- الفنون:

عرف الفينيقيون فن العمارة على حسب النماذج التي ظلت موجودة والتي تظهر تألق الفينقيين في الأبنية الدينية من هياكل ومقابر، ويبدو أن هذه النماذج سلمت لأنها أقيمت خارج المدن، ولم يسلم هذا النشاط من التأثيرات الخارجية خاصة المصرية، فقد استوحى الفينيقيون التصاميم الفرعونية وليس هذا بمستغرب إذ أن المصريين هم أول من بنى معبد بعلة جبيل.

أما المقابر فنظرا لاعتقاد الفينيقيين بضرورة حفظ الجسد، فقد نجم عن ذلك ضرورة حفر المقابر في أماكن بعيدة عن المنازل، عميقة قدر الإمكان حتى لا يعبث بها اللصوص، وقد تعددت مظاهر القبور الفينيقية لتكون في شكل جرار فخارية، مقابر صخرية، كهوف ومقابر فردية.

أما فن النحت فقد تجسد من خلال تكريم الفينيقيين لآلهتهم التي نحتوا لها تماثيل تجسمها، وقد تأثروا في هذا المجال بالنماذج المصرية والبابلية والإغريقية، كما نحت الفينيقيون على الأنصاب، ونقشوا الأفاريز والنواويس والأعمدة والقوالب الأسطوانية. أما الفنون الصناعية فقد تحررت من سيطرة الدين فكان الخزف والزجاج الملون والكؤوس الذهبية والفضية والخناجر، والمصاغ من أقراط وأساور وعقود وعاج وغيرها من أهم ما برع به الفينيقيون في صناعاتهم التي كانت تتم على ذوق رفيع وخبرة عالية.

كما شُغف الفينيقيون أيضا بالموسيقى والرقص لما لها من دور في العبادة، فوضعوا ألحانا واقتبسوا أخرى كما يعود إليهم أصل إتقان العود والدربكة والناي.

ب- العلوم:

ليس من العجيب أن يبدع الفينيقيون في العديد من العلوم الحسابية نظرا للذهنية التجارية التي تعودوا عليها، كما اهتدوا بالنجم القطبي إلى درجة أن الإغريق سموه باسمهم، كما كانت الرحلات الجغرافية مناسبات يجتمع فيها علماء عدة لدراسة الاتجاه، الموقع والأرض والنبات والحيوان. وكان من أشهر رجال الجغرافيا في فينيقيا "مارينوس الصوري" الذي أضاف للخرائط المعروفة خطوط الطول والعرض. كما كانت معاهد صيدون مشهورة بجميع معارف العالم القديم.

وفي ميدان الطب ثبت أن الفينيقيين كانوا بارعين في هذ العلم، ولم يكن أطباء فينيقيا أقل خبرة من أطباء مصر وبلاد الرافدين، ويبدو أن الطب في فينيقيا قد تطور في العصور المتأخرة وتحرر من سلطان الكهنة، وأصبح الطبيب غير الكاهن يشخص المرض قبل تعيين العقار.